

هل اللغة العربية صعبة؟ كيف يمكن تيسيرها؟

للمتازه رساد دارمشورت
- بيروت -

ناسبلت بها لغاتها الأصلية . وذلك بالإضافة إلى كونها لغة القرآن . وليس أدل على تلك الحيوية المرنة ، من تقبلها الاشتراق ، على أوسع نطاق ، يمكن ان ترضخ له اللغات . (اطلب كتاب الاشتراق والتعریب ، للعلامة «المغربي » (1)).

ولنذكر هنا ان اللغات السامية الشقيقة للفتن قد انقرضت ، منذ مئات السنين ، باستثناء العبرانية . كما انقرضت معاصراتها من اللغات الآرية ، كاللاتينية وسواءها .

كما يحسن أن نذكر ، على هامش القيد والشواذ التي توفرت في اللغة العربية ، ان أكثر علماء اللغة كانوا من غير العرب ، حتى في عصور الازدهار الأولى . ولهذا الواقع التاريخي دلالته الخاصة ، وأثاره المموجة في ما وصلت اليه قواعد اللغة ، من تعقد بعد البساطة .

خطوات أولى للتيسير

١ - وقد يسر الاولون القراءة ، بتشكيل الحروف ، اي بوضع الحركات المعروفة عليها (الفتحة والضمة والكسرة) . ويرجع الفضل في ذلك الى ابى الاسود الدؤلي ، الذي كان يعمل ، بتوجيه الامام علي ، على وضع تواجد اللغة الأساسية . فكانوا هذه الخطوة مؤقتة كل التوفيق ، اذ يسرت القراءة والفهم معا على القراء ، كما يسرت وتيسير حفظ

(1) اجمع على القول بصعوبة اللغة العربية دارسوها وخاصة الاجانب ، سواء كانوا مستشرقين او دبلوماسيين . حتى كاد ترديد هذا الكلام المرسل يلبيه ثوب الحقيقة . ولاسيما ان الطرق والاساليب المتبعه ، حتى الان ، في تدريس لغتنا ، للمبتدئين ولسواهم ، لم تتطور بالقدر الكافى . كما ان الكتب الموجوعة لذلك الفرض ، لم تستوف الشروط التربوية والسيكولوجية (النفسية) التي اهتمى اليها الاختصاصيون .

ب - والامر الذي لا شك فيه ، هو ان اللغة العربية ، في اوضاعها الراهنة ، وما تراكم على قوادرها من بقايا التناقضات التي احتضنتها ، ليست هذه اللغة العريقة من اللغات السهلة ، سواء في دراستها ، نحوها وصرفها ، او في كتابة حروفها ، او قراءة تلك الحروف .

ولئن كانت هذه اللغة ، في الامثل ، لغة منطقية ، وبالتالي سهلة التناول ، فهي ، بما اجتمع لها من القيد ، في مدى تاريخها الطويل ، بتأثير الشعوب المنوعة التي اعتنقتها ، قد صارت الى ما صارت اليه اللغة اللاتينية ، قبل ان تتعرض ، وينتفت عنها مجموعها الحديثة (الفرنسية والإيطالية والاسبانية) .

ج - وما حنوط اللغة العربية وصانها من الانقراض سوى الحيوية التي امتازت بها ، وهي التي حببتها الى شتى الشعوب والامم المستعمرة ،

(1) المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي العلمي العربي بدمشق ، نائب رئيس المجمع العربي بمجلس وزراء الثقافة بالقاهرة .

هـ — ولابد من القول ، بأن بعض الفضل ، في ذلك ، يرجع إلى التلاقي الحاصل بين أساليب لغتنا العربية ، وأساليب اللغات الأجنبية ، التي تعلمناها واقتناها .

وهو تلاقي تم مثله في العهد العباسي ، بين هذه اللغة واللغات الأخرى (الفارسية ، والرومية ، والسريانية وسوها). فجنت لغتنا من ذلك التلاقي ، في الماضي والحاضر ، اطيب الثمرات .

بيت الحروف العربية نفسها ، وونارة إشكالها المطبعة ، فهي بين حروف « الأول » وحروف « الوسط » وحروف « الآخر » ، والحوروف المنفصلة ، تتضاعف عدداً . في حين أنها لا تتجاوز في الأصل ، السبعة والعشرين . وهو أمر يعوق ازدهار الطباعة ، ورواج الكتاب العربي .

وـ الا ان الحلول التي عرضت ، حتى الان ، لهذه المعضلة ، لم تكن عملية . سواء منها الاقتراح التقاضي باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، او وضع حروف جديدة لا تمت إلى الحروف القديمة بصلة ، او الاكتفاء بشكل واحد ، من إشكال الحروف الحالية ، لكتابتها به باستمرار .

فأي من هذه الاقتراحات ، اذا أخذنا به ، يتقد بالنتيجة الى طفرة ، لا تحمد عوائقها ، ولا قبل الشعوب العربية بتحملها ، وهي في مستواها الراهن ، اجتماعياً ، واقتصادياً ، وثقافياً .

فضلاً عن ان الأخذ بتلك المقترنات ، او بأحدها امر يخرج عن مدى امكان هذه الشعوب ، لأن الحروف العربية مرحلة من تطور (الابجدية) ، من جهة ، ولأنها حروف يكتب بها غير العرب لغاتهم ، من جهة ثانية .

وقد جاء اقتراح الامير آغا خان ، أخيراً في المؤتمر الإسلامي المنعقد في كراشي (شباط 1951) باتخاذ اللغة العربية لغة رسمية ، في البلاد الإسلامية إلى جانب لغاتها القومية ، دليلاً على صحة ما نذهب إليه .

المفردات والتركيبات العربية ، على وجهها الصحيح ، وتساعد على النطق بها سلية من الرصانة الشائعة بـ — وكان اعجم المروان ، أي تنقية الحروف المشابهة (كالباء والتاء والثاء ، وما اليها) الخطوة التالية لتيسير القراءة وضبط الكتابة . وقد تم ذلك في العهد الاموي ، في خلافة عبد الملك بن مروان ، يوم اعتزم تعزيز اللغة العربية ، فجعلها لغة الدواوين ، اي لغة الدولة الرسمية .

وقد كانت الحروف الكوفية الشائعة الاستعمال ، لا تعرف — ولا سيما المشابهة منها — الا من سياق الكلام . « نباب » مثلاً كانت تقرأ كذلك ، كما تقرأ تاب ، او ناب ، او بات او ثاب ...

جـ — وجاء التوقيف ، او استعمال علامات الوقف ، حينما دون القرآن ، خطوة ثلاثة لتيسير القراءة . واتنا لنجد في المصاحف ، الموجودة بين ايدينا ، اولى المحاولات لاستعمال علامات الوقف ، وان كان المؤثرون مجتمعين على القول بأنه « ليس في القرآن من وقت وجب » .

دـ — وللبنانيين ، على مر العصور ، سبق في هذا الصعيد ، لابد من الاشارة اليه . ففي العهد الفنطي ، اتحفوا العالم بحروف الهجاء ، وهي أعظم نتاج تخض عن العقل البشري . نجاعت تلك الحروف الصوتية المعدودة ، بعد الحروف الهبروغليفية والمسماوية الكثيرة ، دليلاً على ما يهدف اليه الفكر الإنساني النتطور ، في وسائل التعبير عن ذاته ، من اقتضاب ، ويسر ، وساطة .

وفي العهد العربي عمل اللبنانيون ، ثم تابعهم المصريون والسوريون وسوادهم ، على طبع هذه اللغة بالطبع الحضاري ، وتيسير الفهم بها ، بعد تيسير اساليب التعبير . ويكتفي ان نذكر النهضة الأدبية ، التي بعثها مفتربونا في مصر ، وفي الامريكتين ، لتسجيل فضل لبنان العميم على هذه اللغة ، في الوطن وفي المهاجر . حتى صار اللسان العربي ، في الكتاب الحديث ، كما نعمده الان ، مستساغ اللوان حلو الجرس ، من السياق ، جميل الاسلوب . ويات بإمكان القارئ أن يتبع المطالعة ، دون توقف عند كل خطوة ، او رجوع إلى المجم في كل جملة .

خطوات تالية لابد منها

ا — لابد من خطوات اخرى تتذبذبها ، لتيسير اللغة العربية ، ولكن بصورة تدريجية . وانتا ستخوض ما نرى امكان الاخذ به ، في الوقت الحاضر ، بسبيل ادراك تلك الفايزة ، على الوجه التالي :

ب — يتحتم علينا البقاء على الحروف العربية ، باشكالها الراهنة . على ان نضيف اليها بعض الاصطلاحات التي تمكنا من تصوير الاصوات المعروفة ، في اللغات الاجنبية : مثل حرف U الفرنسي ، و P وسواها .

وقد جرى الكتاب على استعمال الباء ، بثلاث نقط ، لتصوير الصوت الثاني . ونقتصر نحن استعمال الواو ، تعلوها نقطة ، لتصوير الصوت الاول .

ج — ولابد لنا من تشكيل الحروف ، اي وضع علامات الاعراب عليها ، بسبيل تسهيل القراءة وضبط الكتابة واللقط . لا فرق في ذلك بين الكتب المدرسية الموجهة للمبتدئين ، وبين كتب المطالعة التي تنشر للمثقفين ، وبين الصحف والمجلات وسواها ، من المنشورات الدورية .

فقد حمل الاولين ، على وضع هذه العلامات ، حرصهم على سلامة اللغة ، من رطانة الاعاجم . ونحن ، على الرغم من الفارق الزمني ، نجد أن ذلك الباущ لم يبرح قائمها . فما علينا الا ان نقيد الكلمات بالحركات ، فنحفظها صحيحة من جهة ، ثم نقرأها بيسرا وسهولة من جهة ثانية .

د — ولكن كيف نحرك الحروف ؟

منذ نحو عشرين سنة ، طبقنا القواعد التالية ، في جميع الكتب التي الفناها ، او اشتراكنا في تأليفها :

(1) نحذف العلامة المعروفة (بالسكون) حيث وردت هذه العلامة التي يغتينا عنها عدم وجودها . ونصلح على ان غياب الحركة معناه وجود (السكون) وهذا نخفف ربع الحركات ، على اقل تعديل ، في ضبط الكتابة .

(2) نستغني عن تحريك الحرف الذي تنتهي

عنه ، فلا حركة ادنى حين الوقف ، عملا بالمصطلح العام ، لدى علماء التجويد .

وهذه القاعدة تخفف جزءا غير يسير من الحركات التي لا لزوم لها ، ما دمنا لا نلتفظ حركة الحرف الذي تنتهي عنه .

(3) نحذف الحركات قبل حروف المد . وهي ثلاثة : الالف والواو والباء . أما اذا كان الحرفان الاولان للقطع ، فاننا نقرن الحرف الذي يسبقهما بالحركة الازمة .

ومثال ذلك : (باب ، ونور ، وطيب) . فالالف والواو والباء ، في هذه الالفاظ ، حروف مد ، تنفي عن الفتحة على الباء ، والضمة على النون ، والكسرة على الطاء . أما في هاتين الكلمتين : « ثوب وطيب » فلابد من وضع النفتحة على كل من التاء والطاء ، لأن الواو والباء فيما هما حرفان قطع ، لا حرفان مد .

ومن السهل ادراك الصعوبات التي تقادها بلجوئنا الى تطبيق هذه القاعدة .

(4) لا لزوم للعلامة الخاصة الدالة على همزة الوصل (ا) اذا ان همزة القطع وحدها هي التي ترسمها على الالف ، حين الكتابة .

(5) لا لزوم للفتحة قبل تاء التائيث ، سواء كان ذلك في الاسم او في الفعل . ومثال ذلك لفظنا : كتابة ، وشربت . ففي الحالتين يحتم وجود هذه التاء فتح الحرف الذي يسبقها .

(6) لا لزوم للشدة على الحروف الشمية . ومثال ذلك : الصورة ، الشمس . ان وضع الشدة على الصاد او الشين ، كما جرت العادة ، لا يبرر له ، لأن اللقطتين ليستا من الكلمات المضاعفة ، مثل « مد او شدد » التي تستلزم هذه العلامة .

(7) نظهر الالف المضمرة ، وسواها من الحروف المتروكة ، في مثل « هذا ، وذلك ورحمن » وسواها من الناظ شائعة ، فنستغني عن بعض الصعوبات . وعلى هذا نكتب هذه الكلمات كما تلفظ ، دون زيادة ولا نقصان : هاذا ، وذاك ورحمان ، وسواها .

9) كتابة المهمزة ، وهي ، من أعقد مشكلات الكتابة العربية . ويكتفي أن نعلم أن أكثر الأدباء والصحفيين يخطئون في تصويرها ، في كثير من الموضع . كما أن الاجتهادات في بعض قواعدها المعتدة ، تختلف بين قطر و قطر ، وبلد وبلد .

ومن رأينا إن نوحد اشكالها : فنجعلها بكرسي الآلف ، في بدء الكلمة وفي وسطها ، دون كرسي في ما عدا ذلك .

10) وعلى ذكر التوحيد ، لابد من الاشارة إلى الفوارق التي نشاهدها في رسم بعض الحروف، في هذا البلد أو ذاك ، من بلاد العربية . فبينما نرسم ، نحن في لبنان ، حرف الياء معجناً أي مع النقطتين ، هكذا (ي) ، يرسمه أخواننا المصريون مهملأ أي دون تنقيط هكذا (ي) . أي انهم يرسمونه شبهاً بالآلف المقصورة عندها . وهكذا يقع القاريء في الالتباس ، كلما شاهد هذه اللحظة مثلاً (اري) ، مكتوبة على الطريقة المصرية . فهل هي (اري) ، للمتكلّم بصيغة المضارع أم (اري) للمخاطبة ، بصيغة الامر !

ومثل هذا كثير ، في رسم الحروف ، في مختلف البلاد العربية .

هـ) هذه الطرق التي طبقناها ، ناتت بأفضل النتائج ، وسواءها مما نحتفظ بتصنيلاته ، إلى فرمصة ثانية ، يمكننا فيها أن ننسب في ما أجملنا عليه القول ، هي وسائل صالحة للتخفيف عن بصر القاريء ، كما أنها توفر للمطالع جزءاً غير يسير من قوة الانتباه ، فيصرفه إلى تفهم المعنى في النص الذي يطالعه ، فضلاً عما توفره من جهود عامل المطبعة ، ووقته . وبالتالي تساهم هذه الطرق ، متى طبقت بصورة اجتماعية ، في ازدهار الطباعة ، وتيسير التعليم ، وشيوخ التفافة بترويج الكتاب العربي ، الذي يشكو الكساد ، حتى في أوساط المثقفين .

كما نكتب داود بالواوين ، (ومثله) على هذه الصورة بالذات ، وعمر دون واو . وفيما وما وعلم ، وسوها دون اتصال أو ادغام أو حذف .

وهكذا نكتب سواها من الكلمات الكثيرة ، التي اعتدنا أن نكتبها على غير الصورة التي تلفظ بها ، أو الصورة التي كانت عليها قبلها . وهي بمجموعها تؤلف أحدى الصعوبات التي تتعرض سبيلاً دارسي اللغة العربية .

والواقع أنه ليس من ببر للاستمرار على الأخذ بهذه الشواد ، أو الأخطاء المتوازنة ، بعد أن تحلت لفتنا من أمثالها في العصور السابقة (لذك كتابة القرآن ، وفيها من ذلك ما يعلله العلماء بالقول : أن كتابة القرآن لا يقاس عليها) .

ننحو أحرج إلى التحرر من تلك الأعباء ، ولا سيما في عصر العلم والمادة والسرعة الذي نعيش فيه .

8) ومن هذا القبيل تجنب الالفاظ المشتركة أو التي تقبل الإبهام . ومثال ذلك لفظة : « الرز » فهي تحتمل أن تكون للدلالة على الحبوب المعروفة ، والمسماة كذلك « الرز » ، كما يمكن أن تدل على الشجر المعروف ، والذي اتخذ لبنان شعاراً له .

لذلك نعمد إلى تخصيص لفظة « الرز » بالغلال الزراعية المذكورة ، ونترك اللحظة الأخرى للدلالة على الشجر المشار إليه .

هذه الالفاظ كثيرة في اللغة العربية . وأكثر منها المترادفات ، التي لا يمكن أن تكون للدلالة على معنى واحد . بل هي ، في الأصل ، نوعٌ تدل على حالات معينة . فيحسن بنا أن نصرفها إلى وجوهها التي تصلح لها . وحيثند تتجنب صعوبة أخرى ، صارت من الأدلة على فقر اللغة العربية ، بعد أن كانت من مظاهر غناها ، وتعني وفرة الأسماء لبعض الدولات ، كالسيف ، والناتة ، والأسد وسوها ، وانعدام الأسماء للكثير من المسميات القديمة والحديثة ، على حد سواء .

كتبنا المطبوعة ، وفي هذه الرسالة ، وشرحناها فيما
سر باتضاب ، وذلك على سبيل المقارنة :

— وانتا نورد فيما يلي الفقرة السابقة ،
مضبوطة بالحركات ، وفاتها للطريقة القديمة ، والى
جانبها النص نفسه مشكولا بالطريقة التي اتبعناها في

الطريقة الجديدة

هذِهُ الْطَرْقُ الَّتِي
طَبَقْنَاهَا، فَاتَّبَعْنَا فَضْلَ النَّاتِحِ،
وَسُوَاهَا مِمَّا حَتَّىَنَا يُنْصِلُ إِلَيْهِ،
إِلَى فُرْصَةٍ ثَانِيَةٍ، يُمْكِنُنَا فِيهَا
أَنْ نُسَمِّيَ فِي مَا أَجْهَنَا عَلَيْهِ
الْقَوْلُ، هِيَ وَسَائِلٌ صَالِحةٌ
لِلتَّخْفِيفِ عَنْ بَصَرِ الْقَارِيِّ..
كَمَا إِنَّهَا تُوْفِرُ لِلْمُطَالِعِ جُزْءاً
غَيْرَ يَسِيرٍ مِنْ قُوَّةِ الْإِنْتِبَاهِ،
فِي صِرْفِهِ إِلَى تَقْهِيمِ الْمَنْتِيِّ فِي
النَّصِّ الَّذِي يُطَالِعُهُ. فَضْلًا عَنْ
تُوْفِرُهُ مِنْ جُهُودِ عَامِلِ
الْمَطَبَعَةِ، وَوَقِيَهُ. وَبِالتَّالِي
تُسَاهمُ هذِهُ الْطَرْقُ، مَتَى
طُبَّقَتْ بِصُورَةٍ إِجْمَاعِيَّةٍ، فِي
إِذْدَهَارِ الْطِبَاعَةِ، وَتَبَسيِّرِ
الْعِلْمِ، وَشُيُوعِ النَّفَافِةِ،
بِتَزوِيجِ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ،
الَّذِي يَشْكُوُ الْكَسَادَ، حَتَّى
فِي أَوْسَاطِ الْمُتَقَبِّلِينَ.

الطريقة القديمة

هذِهُ الْطَرْقُ الَّتِي طَبَقْنَاهَا،
فَاتَّبَعْنَا بِأَفْضَلِ النَّتَائِجِ،
وَسُوَاهَا مِمَّا حَتَّىَنَا يُنْصِلُ إِلَيْهِ،
إِلَى فُرْصَةٍ ثَانِيَةٍ، يُمْكِنُنَا
فِيهَا أَنْ نُسَمِّيَ فِي مَا أَجْهَنَا
عَلَيْهِ الْقَوْلُ، هِيَ وَسَائِلٌ صَالِحةٌ
لِلتَّخْفِيفِ عَنْ بَصَرِ الْقَارِيِّ..
كَمَا إِنَّهَا تُوْفِرُ لِلْمُطَالِعِ جُزْءاً
غَيْرَ يَسِيرٍ مِنْ قُوَّةِ الْإِنْتِبَاهِ،
فِي صِرْفِهِ إِلَى تَقْهِيمِ الْمَنْتِيِّ
فِي النَّصِّ الَّذِي يُطَالِعُهُ.
فَضْلًا عَمَّا تُوْفِرُ مِنْ جُهُودِ
عَامِلِ الْمَطَبَعَةِ، وَوَقِيَهُ.
وَبِالتَّالِي تُسَاهمُ هذِهُ الْطَرْقُ،
مَتَى طُبَّقَتْ بِصُورَةٍ إِجْمَاعِيَّةٍ،
فِي إِذْدَهَارِ الْطِبَاعَةِ، وَتَبَسيِّرِ
الْعِلْمِ، وَشُيُوعِ النَّفَافِةِ،
بِتَزوِيجِ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ،
الَّذِي يَشْكُوُ الْكَسَادَ، حَتَّى
فِي أَوْسَاطِ الْمُتَقَبِّلِينَ.

علمات الوقف

نطالع من جملتها مهرست كتب الاولى وطلب ما احتاج اليه فرأى من الكتب ما لم يقر اسماع الناشر اسمه لابي نصر الفارابي وغيره . فقرأ تلك الكتب وظفر بخواصها وعرف مرتبة كل رجل في علمه من المتقدمين » .

وورد في « ديوان ابن عنيين » (2) — في الصفحة 6 وما يليها — من قصيدة مدح بها الشاعر الملك العادل :

« ملك اذا خفت حلوم ذوي النهي
في الرؤو زاد رزانة وتوقرا
ثبت الجنان تراع من وثباته
يوم الوعي وثباته اسد الشرى
يقط يكاد يقول عما في غد
ببيمه اغنته ان يتكلرا
حلم تخف له الجبال وراءه
عزم ورأي يحرر الاسكdra
يعفو عن الذنب العظيم تكرما
ويصد عن قول الخنا متكبرا »

نفي تلك النثرية « نقطتان » فحسب من علمات الوقف ، وفي هذا المقطع الشعري ، لا اثر لتلك العلامات على الاطلاق .

ج — واذا نحن نشرنا ، فيما يلى ، تلك الفقرة النثرية مضبوطة بعلامات الوقف ، على الطريقة التي نقترحها ، امكن للمطالع ادراك معانيها ، دون عناء ، ولو اغفلنا ، كما فعل الناشر ، حركات الاعراب .

كما ان هذا المقطع الشعري ، اذا نشرناه مقرونا بعلامات الوقف، صار اوضح معنى ، وساهمنا ، الى حد ، في ابراز الصورة العامة التي اراد الشاعر ان يعطيها لملك عظيم ، صورة تشبه لوجه زيتونة مجذبة الالوان ، وان كانت الوانها ، في الاصل ، شتى متناثرة .

ا — يضاف الى ما تقدم علامات الوقف الشائعة في الكتابة ، لدى الام الفربية . وقد شعر المرء بالاتدمن بالحاجة الى مثلاها ، في تلاوة القرآن الكريم ، فاصطلحوا على علامات الوقف ، نجدوها في المصاحف ، كما سبق القول ، وان كانوا قد اصطلحوا ايضا على انه ليس في القرآن من وقف وجب .

هذه العلامات تيسر القراءة العربية تيسيرا محسوسا ، كما تقرب النصوص المقوءة من الانعام . وقد اخبرنا ذلك في كتابنا المنشورة ، المدرسة منها والادبية . ناتي بأفضل النتائج . وان كان احد التقاض قد عذر ذلك ، في رواية « خطبنة الشيخ » المنشورة عام 1938 — خطبنة لا تفتر .

كما نشرنا بحثا مستفيضا حول هذا الموضوع ، وضرورة جعل تلك العلامات جزءا من الكتابة العربية ، في « مجلة التعليم » الصادرة بالفرنسية ، عن مديرية المعارف العامة ، في المفوضية الفرنسية عام 1928 .

هذه العلامات ، من الناصلة الى النقطة ، ومن علامة التعجب الى علامة الاستفهام ، ومن المترضفين الى التوسيع .. كلها وسائل لتيسير القراءة ، وتسهيل الفهم . فضلا عنها تكتبه الكتابة العربية من مظهر فني في الابراج ، لا نجد في الكتب التي تخلو من تلك العلامات ، او يقتصر فيها على بعضها الشائع ، حتى في الصحف اليومية .

ب — وفيما يلى انموذجان للمقارنة ، نختارهما من « مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق » .

فقد ورد في كتاب « تاريخ الحكماء » (1) — المنشقة 56 الفقرة التالية :

« فَسَالَ الْأَبِيرَ نُوحَ بْنَ مُنْصُورَ الرَّئِيسِ أَبُو عَلِيٍّ
الاذن له في دخول دار له فيها بيوت الكتب فنال الایجاب

(1) عني بنشره وتحقيقه المرحوم الاستاذ محمد كرد علي .
(2) عني بنشره وتحقيقه الاستاذ المرحوم خليل مردم بك .

الرطانة الشائعة اليوم ، حتى بين المثقفين ، ثم
اعجمت الحروف المشابهة ، باضافة التنقيط عليها .
ب - ولكن لابد لتأمن أن تضيف الى ما ذكرنا ،
من وسائل التيسير الايجابية ، وسيلة « سلبية »
- اذا صح التعبير - وهي الوسيلة التي تلجا اليها
الام مع طفليها ، والمعلم مع تلميذه والصحفي للبقاء
مع قرائه ، والاديب الموهوب مع المطالعين من عامة
المثقفين . ونعني الامتناع عن « الاغراء » ، في النفق
وفى المعنى .

هذا الاغراب نوعان : اغраб في المفردات ،
واغраб في التركيب . والمهم هو الابتعاد عن النوع
الثاني . لأن اللحظة مهما بعده مدلولتها عن مصطلح
الناس ، تجد الى افهمهم سبيلا ، ولاسيما اذا كانت
تدل على الحسوبات .

نحو نجد الكلم ، باللغات الأجنبية أيسر فهما ، منه باللغة العربية . كما نجد أنفسنا أسرع ادراكا لما يقال بتلك اللغات . ويرجع ذلك ، في رأينا ، إلى ان الاغراب في التركيب ، في تلك اللغات ، لا وجود له الا نادرا . فالفعل يتبعه الفاعل ، ثم ما يتم المعنى . أما في اللغة العربية ، فأساليب البيان والبلاغة متعددة ، حتى يكاد يطفى المبنى ، على المعنى ، والمظهر على الحقيقة ، في كل ما يقال ويكتب بهذه اللغة .

فيحسن بالكاتب العربي ان يعلم هذه الحقيقة الاولية . وهي ان تلك الاساليب البينانية ليست كلها في متناول عامة القراء . فلتبق للاختصاصيين ، وللتباري بالفصاحة وآيات الاعجاز ، في المجالات الصالحة لتلك المباراة .

ب - حينئذ، ومتى لجا الكاتب الى الاسلوب الملام ، انتهى أساس الزعم الثالث بمسؤولية اللغة العربية ، وخاصة ذلك القول الشائع بأن على قارئ اللغة العربية أن يفهم كي يقرأ ، بينما يقرأ الناس في لغاتهم كي يفهموا !

وبالاسلوب الملائم نعني الاسلوب البسيط ، اي الاسلوب الذي لا تفسده الجوازات والشواذ ، ولا تختله الاستطرادات والتحشيات .

وأكرر القول بأن العدول عن الأخذ بذلك
الأساليب ، التي تبقى للأختصاصيين ، لا يعني
استطاعتها أو ابطال ما لها في التفوس من سحر . بل
يعني أننا نتركها لعلماء اللغة ، وجهابذة البيان .
إذ ليس مفروضاً في كل قارئ أو متعلم مبتدئ ، أن
يكون سيبويه زمانه ، أو عضواً في مجتمع لغوي .

وفيما يلي الفقرة والمقطع ، مقوتين بعلامات الوقف ، وبالحركات على طريقتنا المقترحة .

١- «فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ مَنْصُورٌ، الرَّئِسُ أَبُو عَلَيْهِ الْأَذْنَ لَهُ فِي دُخُولِ دَارِهِ، فِيهَا بُيُوتُ الْكُتُبِ فَتَالَ الْإِيمَاجَابَ . قَطَالَعَ ، مِنْ جُلُّهَا ، فَهِيَ سَكَنُ الْأَوَّلِينَ وَ طَلَبَ مَا احْتَاجَ إِلَيْهِ . قَرَأَ مِنَ الْكُتُبِ مَا لَمْ يَقْرَأْ أَسْلَعَ النَّاسِ أَسْلَهُ ، لَأَيْ نَصِيرَ الْفَارَابِيَ ، وَغَيْرِهِ . قَرَأَ ثَالِثَ الْكُتُبَ ، وَظَلَّ يَفْوَانِيهَا . وَعَرَفَ مَرْقَبَةَ كُلِّ دَجْلٍ فِي عَلِيهِ مِنَ التَّقْدِيمَيْنِ .

— «مَلِكُ، إِذَا خَفَتْ حُلُومُ ذُوِي النُّبُعِ،
فِي الرَّوْعِ، زَادَ دَرَانَةً، وَتَرَقَّرَ ا
تَبَتْ الْجَنَانِ، تُرَاعَ مِنْ وَبَابِهِ
يَوْمَ الْوَغْنِيِّ، وَبَابِهِ أَسْدُ الشَّرَىِ.
يَقْنَطُ، يَكَادُ يَقُولُ عَمًا فِي غِدَاءِ
بَيْدِيهِ أَغْشَهُ أَنْ يَتَفَكَّرَ،
حُلْمٌ تَخْفُ لَهُ الْجَبَالُ، وَرَاءَهُ
عَزْمٌ، وَرَأْيٌ تَحْفِرُ الإِسْكَنْدَرَا،
يَعْفُو عَنِ الدَّنْبِ الْمَطْمِئِنِ، تَكْرُمًا
وَيَصُدُّ عَنْ قَوْلِ الْمَنَا، مُتَكَبِّرًا»

وسائل ايجابية وسلبية

١ - هذه القواعد التي أوجزنا الكلام عليها ، تهدف الى ضبط الكتابة العربية ، وتبسيتها ، كما تهدف الى تسهيل القراءة والفهم . وقد ثبتت لدينا فائدةتها ، بعد تطبيقها عملياً ، منذ عشرين سنة ونinet.

وهي كما يبدو وسائل ايجابية ، تسير النزعة التطورية ، دون تهديم ، أو تنكر لاضعاف عظيم ، وتساوق اتجاه الفكر ، لدى الشعوب العربية ، التي تمنت الطفرات ، ولا تستسيغ الثورات ، كما لا ترضي أن يقوم بينها وبين ماضيها اي حباب .

وفي تطبيق هذه القواعد ، نسير بلفتنا الى
الامام . ونقم ما بدا به الالون ، في مطلع النهضة
العربية ، اذ شكلت الحروف بالحركات ، خشية

الخلاصة

ولاسيما اذا اعتبرنا ان تلك اللغات تستعمل الحروف اللاتينية ، بشكليها : العادي والكبير (ماجسکول ، کابیتال) وتصور تلك الحروف في الكتابة ، على صور تختلف عن صورها المطبعية . وحيثنة تسلم اللغة العربية ميزة حروفها ، التي لا تشاركتها فيها حروف ، وتعني ملامحها للاختزال حين الكتابة . وفي الواقع ، فان حروف الكتابة العربية ، كما وصلت اليها في خطوطها المختلفة ، حروف اختزال .

نماذا اصطدحنا على استعمال حروف « الاول » او حروف « الآخر » للطباعة ، تيسيرا لعمل المضدين الطباعي ، وترويجا للكتاب العربي ، وبالتالي خدمة للنفخ وللعلم ، في اوساط الشعوب التي تتكلم هذه اللغة – فيجب ان نحرص ، في الوقت نفسه ، على الابقاء على حروف الكتابة ، باشكالها الفنية التي تطورت اليها . فصارت الانفاظ الجامدة قطعا من الفن الحسي .

وفبما يلي ، نورد الفقرة الاخيره ، مطبوعة بحروف منفصلة ، على سبيل المثال :

وحينئذ تسلم لللغة العربية ميزة حروفها ، التي لا تشاركتها في حروف ، ونعني صلاحها لاختزال حين الكتابة: وفي الواقع ، فان حروف الكتابة العربية ، كما وصلت اليها في خطوطها المختلفة ، حروف اختزال .

كما نورد الجملة الاخيره ، من الفقرة السابقة ، مكتوبة بالخط النسخي ، دون زوايد يحضرها الخطاطون عادة للزينة ، فتجيء لتعقيد الخط العربي وتشويهه ، في اعتقادنا :

ا – ان تيسير الكلية والقراءة ، باللفة العربية ، من الاغراض التي يجب ان تهدف اليها ، لا اقرارا بالقول بصعوبة هذه اللغة ، بل سيرا مع سنن التطور .

ولما كانت الحروف المطبعية الحالية غير كافية ، فان اضافة بعض الحروف الجديدة ، المتبقية عن الاشكال المعروفة ، ضروري ، لرسم الاصوات التي لا عهد للعرب بها ، مثل حرف U الفرنسي ، و P سواهما .

ب – والحروف العربية نوعان : منفصلة ، ومتصلة . اما المتصلة ، وعددها احد عشر ، فهي : ا ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ة ، و ، لا ، ي . وفي اعتقادى أنه يمكن اباؤها على حالها .

اما المفصلة ، وعددها تسعه عشر . وهي : (ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن) ، فيحسن توحيد شكلها المطبعي، حيثما وردت . ولا فرق بين ان يكون شكلها الموحد هو شكلها في اول الكلمة ، او في آخرها . وحيثنة تصبح جميع الحروف منفصلة . وهذا ممكن .

ج – يضاف الى ذلك وجوب استعمال الحركات ، وعلامات الوقف ، على اعتبارها جزءا متاما للحروف وللكلام .

د – وفي اعتقادى ان اشكال الحروف العربية الثلاثين ، الانف ذكرها ، والحركات الأربع المطلوب استعمالها (الفتحة والضميمة والكسرة والشدة) ليست اوفر عددا ، ولا أصعب استعمالا ، في الكتابة والطباعة ، من امثالها ، في اللغات الاجنبية .

يُجَبُ أَنْ تَحْرِصَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ عَلَى الْأَبْقَاءِ عَلَى حُرُوفِ الْكِتَابَةِ بِأَشْكَالِهَا الْفَنِيَّةِ ،
الَّتِي تَطَوَّرَتْ إِلَيْهَا ، فَصَارَتِ الْأَلْفَاظُ الْجَامِدَةُ قِطْعَاتٍ مِنَ الْفَنِ الْمَجِيْحِ

اللائق بها ، في مجموعة الامم الوعية الحرة !

واننا نسأل الله في الختام ، ان يهدينا الى ما يفيد بلادنا ، وينهض بالشعوب العربية ، الى المكان